مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٩٣- ١٢٤ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.4

القراءات المتواترة والشاذّة في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية (جمعا ودراسة)

د. بشرى حسن هادي اليمني
أستاذ مساعد بقسم (القراءات)
كلية القرآن والدراسات الإسلامية – جامعة جدة – المملكة العربية السعودية

مستخلص. يهدف هذا البحث إلى دراسة القراءات القرآنية في سورة الإخلاص – التي يعدل ثواب قراءتها ثلث القرآن الكريم– وبيان مدى تأثر معاني هذه السورة وتفسيرها بالقراءات القرآنية الواردة فيها، وإظهار بعض الدلالات العقدية المتعلقة بتوحيد أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، من خلال تحليل هذه القراءات لغويا ومعنويا.
كما أنه يهدف إلى إيضاح العلاقة اللفظية والمعنوية بين حروف القراءات المتواترة والشاذّة المختلف فيها في قوله: (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد) والفرق بين إثبات بعض الألفاظ فيها وحذفها والتنوع الخطابي بين الخبر والإنشاء وأثره في الأحكام العقدية من خلال اختلاف القراءات، والفرق بين معاني(الأحد والواحد) ودلالاتها العقدية من جهة، ومن جهة أخرى بيان العلاقة بين هذا الاختلاف فيها وبين معاني(الصمد) ثم بيان العلاقة بين معاني(الصمد) المختلف فيها وبين معاني **القراءات المختلف** فيها في قوله: (كفؤا أحد، وكفوا أحد) بتحقيق الهمز وتخفيفه.
ثم دراسة العلاقة التكاملية بين ألفاظ القراءات ومعانيها وبين السياق العام للسورة بصورة خاصة وعلاقتها بأسباب نزول السورة وما جاء في فضلها وقدرها بصورة عامة.
الكلمات الافتتاحية: القراءات القرآنية، سورة الإخلاص، الدلالات المعنوية، الدلالات العقدية.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فيكافأه، وليس يكافيه ولا يحصي نعمه وإحسانه من خلقه أحد، تبارك وتعالى وتنزه جل جلاله وتقدست أسماؤه عن الوالد والصاحبة والولد، ثم الصلاة والسلام على إمام الموحدين وسيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن سورة الإخلاص صفة الرحمن وحجته على خلقه وفيها تمام وكمال توحيده وتمجيده، فهي سورة بأربع آيات وحروف وكلمات معدودات، ولكنها بعظم فضلها وجزيل ثوابها تعدل ثلث القرآن، فعظمها وقدرها من تعلق ما تحدثت عنه وصفة من وصفته تبارك وتعالى، فهي بذلك من أعظم سور القرآن، وقد صح فيها من الأحاديث الدالة على فضلها مع قصرها ما لم يصح لغيرها، وقد جاء فيها من القراءات المتواترة والشاذة ما يربو عن السبعة أوجه من أوجه القراءة على حروف مختلفة في ألفاظها متكاملة في معانيها، مما دفعني لدراسة هذه السورة وإفرادها بدراسة مستقلة **متقصدة** في ذلك تتبع القراءات القرآنية وتوجيهها وبيان دلالاتها المعنوية واللفظية والعقدية والبلاغية، من خلال هذا البحث الذي أسميته: **القراءات المتواترة والشاذّة في سورة الإخلاص ودلالاتها (جمعا ودراسة).**

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

وتكمن أهمية اختياري لهذا الموضوع؛ لأسباب عدة من أبرزها:

١- أن سورة الإخلاص تعد من أقصر السور في القرآن الكريم إلا إنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن، وما ذلك إلا لأسرار وحكم أودعها الله في هذه السورة منها ما تجلى ومنها ما يحتاج لمزيد بحث ودراسة، فشرعت في هذا البحث محاولة استنباط ما يمكن استنباطه من هذه السور العظيمة.

٢- أن موضوع السورة يتحدث عن صفات المولى تبارك وتعالى، فأحببت أن أفردها بدراسة مستقلة.

٣- تَنوعت القراءات القرآنية والأساليب البلاغية في السورة، فحاولت دراسة قيمة هذا الاختلاف وأهميته في تغيير معاني ومفردات هذه السورة في ضوء اختلاف القراءات القرآنية.

أهداف البحث:

١- يهدف هذا البحث لدراسة بعض أسماء وصفات المولى جل جلاله في ضوء اختلاف القراءات، إذ إنها عند بعض العلماء تمثل الشطر الثالث من أركان التوحيد، بعد توحيد الربوبية والألوهية.

٢- محاولة إظهار بعض الأحكام العقدية في السورة وتفصيلها، من خلال دراسة القراءات المتواترة والشاذة في السورة وبيان أثرها في هذه الأحكام.

٣- بيان صور من ملامح وصور تكامل القراءات في هذه السورة وبيان دلالاتها المعنوية والبلاغية.

٤- محاولة إظهار مدى تأثر القراءات القرآنية بقاعدة تخفيف الهمز **وتحقيقه** في بعض وجوه القراءات القرآنية، وأثر ذلك في توجيه اللغات واللهجات العربية.

منهج البحث:

انتهجت في دراستي هذه: المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، وقمت بـ :

١- جمع القراءات المتواترة والشاذة في السورة وتخريجها وتحليل ألفاظها لغويا ومعنويا.

٢- قارنت بين كل قراءة واردة في كلمة واحدة أو حرف واحد على حدة، ثم قمت بمقارنة كل قراءتين معا على انفراد وتوجيه معانيها، ثم بعد ذلك عملت على مقارنة معاني القراءات المختلفة مع السياق العام والخاص للآيات والسورة، تارة على إفراد القراءات وتارة على جمعها.

الدراسات السابقة:

لم يقع بين يدي **الباحثة** بعد طول بحث وتتبع لأي دراسة مخصوصة بدراسة معاني القراءات الواردة في سورة الإخلاص، وإن كان كثير من المفسرين قد أدرجوها ضمن تفاسيرهم، مكتفين بذكر معانيها وفضلها وسبب نزولها، ومنهم من تحدث عن القراءات الواردة في: (كفوا) بالهمز والتخفيف وحملها في جميع وجوه القراءة بها على المعنى الواحد واللغات واللهجات العربية الواحدة.

هيكل البحث:

المبحث الأول: التعريف بسورة الإخلاص، وفيه مطلبان

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تسميتها:

المطلب الثاني: سبب نزول سورة الإخلاص وفضلها:

المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في مفردات السورة، وأثر القراءات في توجيه آرائهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاختلاف في التفسير وأقسامه:

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في غريب السورة، وتوجيه آرائهم في ضوء اختلاف القراءات: وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اختلافهم في (قل هو الله):

المسألة الثانية: اختلافهم في معنى (الواحد والأحد) والقراءات الواردة فيها:

المسألة الثالثة: اختلافهم في معنى (الصمد):

المسألة الرابعة: اختلاف القراء في (كفوا وكفؤا):

المسألة الخامسة: اختلاف المفسرين في معاني(كفوا أحد) في ضوء اختلاف القراءات:

المبحث الثالث: تعاضد القراءات المتواترة والشاذة وتكاملها في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التكامل اللغوي والمعنوي للقراءات القرآنية في (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد):

المطلب الثاني: تكامل معاني القراءات مع لفظ (الصمد):

المطلب الثالث: تكامل معاني القراءات في (كفوا):

المبحث الأول: التعريف بسورة الإخلاص، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تسميتها:

سورة الإخلاص سورة مكية، وقيل مدنية، وهي أربع آيات، وخمس عشرة كلمة، وسبعة وأربعون حرفا[١].

وسميت بأسماء كثيرة أشهرها: (سورة الإخلاص)؛ لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله جل جلاله، المنزه عن كل نقص، المبرأ من كل عيب؛ ولأنها تخلّص العبد من الشرك، أو من النار، وسميت أيضا: (سورة التفريد) أو (التجريد) أو (التوحيد) أو (النجاة) أو (الولاية)؛ لأن من قرأها صار من أولياء الله، أو (المعرفة)، وتسمى كذلك (سورة الأساس)؛ لاشتمالها على أصول الدين[٢].

وقال ابن عاشور: "المشهور في تسميتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيما جرى من لفظه وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتُها: (سورة قل هو الله أحد)[٣]. وروى الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قل هو الله تعدِل ثلث القرآن"[٤] وهو ظاهر في أنه أراد تسميتها بتلك الجملة لأجل تأنيث الضمير من قوله : (تَعدل) فإنه على تأويلها بمعنى السورة، وقد روي عن جمع من الصحابة ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة"[٥].

وأما حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة" فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن"[٦] فقد ذكر ألفاظاً تخالف ما تقرأ به، ومحمله على إرادة التسمية، وسميت في أكثر المصاحف ومعظم التفاسير: (سورة الإخلاص) واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة؛ لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غَيره في الإلهية[٧]، وذكر الزمخشري في الكشاف: " أنها وسورة الكافرون تسميان المقشقشتين، أي: المبرئتين من الشرك ومن النفاق"[٨] .

المطلب الثاني: سبب نزول سورة الإخلاص وفضلها:

(١) ينظر: الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١٥هـ): (٤/ ٤٩٦).

(٢) ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ): (٣٢/ ٣٥٧).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، الطبعة التونسية، (١٩٩٧م): (٣٩/ ٦٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سورة الإخلاص، رقم(٢٨٩٦)، ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى، (الجامع الصحيح) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٥/ ١٦٧).

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٩/ ٦٠٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، رقم(٤٧٢٧)، البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، (١٤٠٧ه – ١٩٨٧م): (٤/ ١٩١٦).

(٧) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٩/ ٦٠٩).

(٨) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٤/ ٨٣٠)، والخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة: (عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي)، الناشر: دار صادر – بيروت: (٨/٤١٠).

ذكر الواحدي في سبب نزولها عن قتادة والضحاك ومقاتل: أنه جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة(١).

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه" أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١– ٤] قال: فالصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفوا أحد، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء"(٢).

وعلى قصر هذه السورة إلا إنه قد جاء في فضلها وصح فيه ما لم يرد في غيرها من الآيات والسور، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها، وأنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن؛ لأن كل ما جاء في القرآن بيان لما أجمل فيها؛ ولأن الأصول العامة للشريعة ثلاثة: توحيد الله وذكر صفاته، وتقرير تكاليف الشرع من الأمر والنهي في الحدود والأحكام، وقصص الأنبياء والمواعظ والأخبار، فمن قرأها فكأنما أعطي من الأجر كما لو قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله(٣).

ومن هذه الأحاديث: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: " أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها، فلما أصبح، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن"(٤).

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول اللَّه؟ فقال: اللَّه الواحد الصمد ثلث القرآن"(٥).

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: " احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم

(١) ينظر: علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: (٥٠١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي العالية الرياحي، عن أبي بن كعب، وصححه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني دون قوله: (الصمد الذي...) ينظر: ابن **حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م): (٣٥/ ١٤٣)، وابن البيع(الحاكم)، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١١ه – ١٩٩٠م): (٢/ ٥٨٩).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م): (٦/١٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل (قل هو الله أحد) من حديث أبي سعيد الخدري رقم: (٥٠١٣)، صحيح البخاري: (٦/ ١٨٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: باب فضل قل هو الله أحد، من حديث أبي سعيد الخدري رقم: (٥٠١٥)، صحيح البخاري: (٦/ ١٨٩).

خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن"(١)، وروي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾جزءا من أجزاء القرآن"(٢).

ولمّا اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة، وهو التّقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن؛ لأن منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره، وشبيهه، ودل عليه قوله: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ولا يكون أحد في درجته وإن لم يكن أصلا له، ولا فرعا منه، ودل عليه قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ويجمع ذلك كله قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وجملته وتفصيله، هو قولك: (لا إله إلا الله) فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره، ولا تنقضي عجائبه(٣).

وقال الفخر الرّازي: "لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف في جميع الشرائع، والعبادات معرفة ذات الله جلّ جلاله وتعالى، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى، فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن"(٤).

وقال النّووي: " قيل معناه إن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص، وأحكام وصفات الله تعالى، و(قل هو الله أحد) متضمنة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء من ثلاثة أجزاء، وقيل: معناه أن ثواب قراءتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف"(٥).

المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في مفردات السورة، وأثر القراءات في توجيه آرائهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاختلاف في التفسير وأقسامه:

الاختلاف: ضد الاتفاق، يقال: "خالفته مخالفة وخلافاً، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به، باب: فضل قراءة (قل هو الله أحد)، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت: (٥٥٧/١)، وسنن الترمذي: (١٩/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به، باب: فضل قراءة قل هو الله أحد، صحيح مسلم: (١/ ٥٥٦).

(٣) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: (٤/ ٤٩٦).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب: (٣٢/ ٣٥٨)، بتصرف يسير.

(٥) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، (١٣٩٢ه): (٩٤/٦-٩٥).

إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساو، فقد تخالف واختلف، والاختلاف أعمّ من التضاد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين[١]؛ لذلك فإن اختلاف المفسرين يختلف عن اختلاف القراء؛ لأن اختلاف المفسرين منه ما هو اختلاف تنوع ومنه ما يكون اختلاف تضاد، وأما اختلاف القراء في حروف القراءات فإنه اختلاف تنوع فقط[٢]، وأما ابن تيمية فقد ذهب إلى القول بأن غالب ما يصح عن السلف من الخلاف – في التّفسير– يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد، وذكر أن من هذا الخلاف صنفان:

الأوّل: أن يُعبّر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى، مثل الصراط في قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]: قال البعض: هو الإسلام، وقال آخرون: هو السنة والجماعة، وقيل: طريق العبودية، وقيل: طريق الخوف والرجاء...**الثاني:** أن يذكر كل واحد منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل اختلافهم في قوله تعالى: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[فاطر: ٣٢]: فالظالم لنفسه: هو تارك المأمور، فاعل المحظور، والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، والسابق: هو فاعل الواجب والمستحب، وتارك المحرم والمكروه، فيجاب عن السائل عن هذه المعاني ممن لا يعي هذه المعاني، كأن يقال: الظالم: هو الذي يفوت الصلاة ولا يسبغ الوضوء، والمقتصد: الذي يصلي في الوقت كما أمر، والسابق: الذي يؤدي الصلاة بواجباتها وأركانها[٣].

فمن ظاهر كلامه يمكن تقسيم الاختلاف في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: اختلاف التنوع، وهو الأكثر والأعم وعليه يحمل اختلاف أكثر أهل التفسير والعلم من أهل الفضل والصلاح، وإن كان بعض هذا الاختلاف يوحي في ظاهرة إلى التضاد، وخاصة ما دخلت بعض أصنافه في معاني المتشابه أو المجاز والتأويل، وغالبا ما يمكن الجمع بين تلك المعاني إذا حملت معانيها على العموم والإطلاق من جهة، ومن جهة أخرى إذا ما توفرت لدى المحققين دوافع الحيادية والإنصاف، واجتنبت العصبية للمذاهب والفرق والآراء، والله أعلم.

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٨٢/٩-٨٦)، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت: (١٧٨/١)، والكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده للطبع: د/ عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤١٩ه – ١٩٩٨م): (٤١٤).

(٢) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (٢٨/١).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح مقدمة في أصول التّفسير، شرح: د/ مساعد بن سليمان الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، (١٤٢٨ه): (٣١٨-٣٢٠).

القسم الثاني: اختلاف التضاد، وهو قليل الوقوع عند المشهود لهم بالعلم والفضل، والغالب فيه أنه يقع بين الفرق المختلفة في الأصول العقدية، أو الفرق التي أهملت أصول التفسير المجمع عليها عند العلماء، وكذلك في اختلافهم في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، والله أعلم.

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في غريب السورة، وتوجيه آرائهم في ضوء اختلاف القراءات: وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اختلافهم في (قل هو الله):

قرأ الجمهور –متواترا–: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم: (هو الله) بغير (قل)، وروي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير (قل و هو) وقرأ عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضا: (الله الواحد الصمد) بغير (قل وهو)[١].

فهذه القراءات المتواترة والشاذة في هذه الآية، والمتأمل فيها يجد أن اختلاف القراء في قراءتها على قسمين، **الأول:** اختلافهم في إثبات: (قل وهو) أو أحدهما، **وأما الثاني:** فهو حذفهما أو حذف أحدهما، والخطاب على قراءة من قرأ بـ (قل) يحتمل أحد الوجوه الثلاثة الآتية: **أحدها:** أنه خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك كله، وشارك فيه قومه، وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله بأشياء فيشرك قومه في ذلك، **والثاني:** خاطب كلا في نفسه كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١] وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] ونحوه من الخطابات، خاطب كل أحد في نفسه؛ إذ لا يحتمل أن يخاطب في: (قل هو الله أحد) رسول الله خاصة، ولا يخاطب غيره؛ بل المخاطب به كل الناس وكل إنسان، **والثالث:** خاطب رسوله على إرادة غيره على سبيل الخصوصية له، نحو ما يخاطب ملوك الأرض خواصهم وأعقلهم من رعيتهم؛ على إرادة ذلك الخطاب غير المخاطبين[٢].

فإثبات فعل الأمر(قل) تَنَوع الخطاب بين الأمر على صيغة الإخبار والأمر الصريح علي صيغة الإنشاء والطلب والأمر، فتغيرت الدلالات في ضوء ذلك من

(١) ينظر: خالويه، الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة: (١٨٥)، و د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، ط١، (١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م): (١٠/٦٣٥-٦٣٦).

(٢) ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م): (٦/٣٦ -٧٣)

الدلالة القطعية المستوحاة من فعل الأمر الصريح، إلى الدلالة القطعية المستوحاة من صيغة الإخبار الظنية التي تستلزم الأمر الغير مباشر بنشر التوحيد وتفصيل صفات المولى تبارك وتعالى والعمل بمقتضاها.

وأما ضمير الشأن(هو) فبإثباته مزيد مبالغة وتوكيد، فإن سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه جل جلاله أوجب حصر اللفظ وتوكيده وبتخصيص الموصوف تبارك وتعالى، وقد احتج القرطبي لهذه المعاني المستوحاة من القراءة المتواترة واعترض اعتراضا شديدا على جميع من قرأ بالقراءات الشاذة في هذا الموضع كمن قرأ بغير (قل هو) أو بلفظ(الواحد مكان الأحد) فقال:" وقد أُسقط من هذه السورة من أبعده الله وأخزاه، وجعل النار مقامه ومثواه، وقرأ: (الله الواحد الصمد) في الصلاة، والناس يستمعون، فأسقط: (قل هو) وزعم أنه ليس من القرآن، وغير لفظ أحد، وأدعى أن هذا هو الصواب، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية؛ لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب هو، أم من نحاس، أم من صفر؟ فقال الله عز وجل ردا عليهم: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ففي (هو) دلالة على موضع الرد، ومكان الجواب، فإذا سقط بطل معنى الآية، وصح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن أبي بن كعب: "أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾و(الصمد): الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث"، وروي عن أبي العالية: أن النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر آلهتهم فقالوا: انسب لنا ربك، قال: فأتاه جبريل بهذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا أصح، قاله الترمذي، قلت: ففي هذا الحديث إثبات لفظ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وتفسير الصمد"[1].

المسألة الثانية: اختلافهم في معنى (الواحد والأحد) والقراءات الواردة فيها:

ذهب طائفة من العلماء مثل ابن عباس وأبو عبيدة والبغوي وغيرهم كثير إلى أن (الواحد والأحد) بمعنى واحد ولا فرق بينهما، وصرح البغوي بذلك مستشهدا

(١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م): (٢٠/ ٢٤٥-٢٤٦)

بقراءة ابن مسعود –شاذة– فقال: " (قل هو الله أحد) أيّ واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: (قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ)"[١]، وقال ابن عطية: "وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود: (قل هو الله أحد الواحد الصمد)، وأَحَدٌ معناه: فرد من جميع جهات الوحدانية، ليس كمثله شيء، وهو ابتداء واللَّهُ ابتداء ثان وأَحَدٌ خبره، والجملة خبر الأول، وقيل: هُوَ ابتداء واللَّهُ خبره وأَحَدٌ بدل منه"[٢]، و(أَحَدٌ) أصله وحد، و(وحد، وواحد) بمعنى، وكونه واحدا: أنه لا قسيم له ولا شبيه له ولا شريك له[٣].

وفرَّق قوم بينهما فقال ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ): "الواحد: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد، والأحد: هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيه أحد"[٤]، فهنا فرق بينهما ابن الجوزي، ثم جعلهما من الألفاظ المشتركة، مع توافقهما في بعض الدلالات، فـ (أَحَدٌ) أبلغ من (واحِد)؛ لأنّه لا يدخل في العدد، وإذا قلت: لا يقاومه واحد يجوز أن يقاومه اثنان[٥]، وفي أَحَدٌ فائدة ليست في (واحد) لأنك إذا قلت: لا يقوم لزيد واحد، جاز أن يقوم له اثنان فأكثر، وإذا قلت: لا يقوم له أحد، نفيت الكل، وهذا إنما يكون في النفي خاصة، فأما في الإيجاب فلا يكون فيه ذلك المعنى، و(أَحَدٌ) إذا كان بمعنى (واحد) وقع في الإيجاب، تقول: مرّ بنا أحد، أي: واحد، فكذا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي: (واحد)[٦].

والواحد على ضروب، الواحد: الفرد الذي لا ثاني له من العدد، كقولك: إذا قصدت العدد الواحد والثاني والثالث والرابع وما أشبه ذلك، فالله عز وجل الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير لم يسبقه في أوليته شيء عز وجل عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ولذلك يقول أصحاب العدد: إن الواحد ليس بعدد لأن العدد إنما هو تركب من أعداد أضيف بعضها إلى بعض، فالواحد لم يتركب من ضم شيء إلى شيء فيكون عددًا فكأنه عندهم مادة العدد، قالوا: ألا ترى أن معنى الوحدة موجود في كل

(١) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، (١٤٢٠ه): (٣٣٠/٥)

(٢) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ): (٥/ ٥٣٦).

(٣) ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣: (٣/ ٧٨٣).

(٤) الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ): (٥٠٦/٤).

(٥) ينظر: النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: د/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، (١٤١٥هـ): (٢/ ٨٩٦).

(٦) ينظر: مكي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، (١٤٠٥ه): (٢/ ٨٥٣)، والنيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن: (٢/ ٨٩٦).

عدد قل أو كثر كالخمسة والستة والألف وما بعد ذلك إلى ما لا نهاية له لابد من أيكون معنى الوحدة فيه موجودًا، وكذلك الكسور نحو النصف والربع والعشر وعشر العشر وما دون ذلك لا بد من أن يكون معنى الوحدة موجودًا فيه وليس في قولنا: (واحد) معنى عن شيء من ذلك موجودًا[١]، ولذلك فالواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو الفرد المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته، فهو واحد في ذاته لا يتجزأ أو لا يتفرق، أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو واحد في صفاته لا شبيه له على الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به وهو واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في ألوهيته لا معبود حق إلا هو[٢] وقد ورد اسم الله(الواحد) في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن في ستة منها بالقهار، والأحد هو الذي تفرد بكل كمالٍ ومجدٍ وجلالٍ وجمالٍ وحمدٍ وحكمةٍ ورحمةٍ وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير ولا مناسب بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها، من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات، وقد ورد اسم الأحد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص.

ومن فرق من العلماء بين معنى الاسمين –الواحد والأحد– فمرد ذلك عندهم إما على أصل الاشتقاق وإما إلى الاشتراك المعنوي بينهما، وآراؤهم في ذلك على ثلاثة أقسام: **الأول:** أن الواحد اسم لمفتتح العدد، فيقال: واحد واثنان وثلاثة، أما أحد فينقطع معه العدد فلا يقال: أحد اثنان ثلاثة، **الثاني:** أن أحداً في النفي أعم من الواحد، فيقال: ما في الدار واحد، ويجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر، أما لو قيل: ما في الدار أحد فهو نفي وجود الجنس بالمرة، فليس فيها أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر ولا أقل، **الثالث:** لفظ الواحد يمكن جعله وصفاً لأي شيء أريد، فيصح القول: رجل واحد، وثوب واحد، ولا يصح وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا الله الأحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلا يقال: رجل أحد ولا ثوب أحد فكأن الله عز وجل استأثر بهذا النعت.

ويمكن إبراز الفرق بين اللفظين –الواحد والأحد– وتوجيه أقوال المفسرين والعلماء من خلال استعراض القراءات القرآنية في الآية وتوجيهها واستقراء معانيها

(١) ينظر: النهاوندي، عبد الرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م): (٩٠-٩١).

(٢) ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تقريب التدمرية، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، (١٤١٩هـ): (١١٨).

واستنباط بعض الدلالات اللفظية والمعنوية من خلال التنوع والاختلاف في قراءتها ونقل الرواة لها، واختلافهم في ذلك.

فقد قرأ الجمهور –متواترا–: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم: (هو الله أحد) وروي عن الأعشى وابن مسعود: (الله الواحد) وقرأ عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضا: (الله الواحد الصمد) بغير (قل وهو) وبلفظ الواحد مكان الأحد[١].

فهذه أشهر القراءات المتواترة والشاذة في هذه الآية، والمتأمل فيها يجد أن اختلاف القراء في قراءتها على قسمين، **الأول:** اختلافهم في إثبات: (قل وهو) أو أحدهما، وأما **الثاني:** فهو حذفهما أو حذف أحدهما، وسيأتي بيان فوائد هذا الاختلاف ودلالاته في سياق هذا البحث.

وأما اختلافهم في لفظي: (الأحد والواحد) فهو على قسمين: **الأول:** القراءة الأولى: (أحد) وهي قراءة الجمهور وهي القراءات المتواترة التي اشتملت على وجوه القراءة الصحيحة المتواترة عند عامة القراء من صحة السند وتواتره واتصاله وموافقتها لرسم المصحف ووجه من وجوه العربية ولو احتمالا[٢]، **والثاني:** قراءة (الواحد) وهي القراءة الشاذة وإنما شذت لفقدها أحد الشروط الثلاثة السابقة، وقد رويت عن ثلاثة من كبار الصحابة، والاحتجاج بها جائز والاستشهاد بها سائغ، فهي وإن شذت كقراءة قرآنية إلا أن معانيها وروايتها معمول به ومحتج به عند **بعض** المفسرين والفقهاء.

وبناء على قاعدتي الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وإعمال اللفظ أَولى من تركه، ومن خلال المسلمات والبديهيات العقدية التي تستلزم أن تكون لله جل جلاله صفات الكمال والجمال التي لا يلابسها عيب ولا نقص، يتبين من خلالها ومن خلال أقوال المفسرين واختلافاتهم أن بين لفظي: (الأحد والواحد) خصوص وعموم.

فقراءة: (الله أحد) هي المتواترة والمقدمة في اللفظ والمعنى لشمول اللفظ – أحد – لصفة التفرد والكمال في الذات والعدد، من جهة ومن جهة أخرى فإن لفظ (أحد) يحتمل نفس معنى (الواحد) بل ويكمله ويضيف إليه معان أخرى تبعد اللبس المحتمل في اللفظ والمعنى.

ولفظ: (الواحد) كما قرره بعض العلماء له وجهان في الاحتجاج، **فالأول:** أنه بمعنى(الأحد) لأن أصله من (وحد) فأبدلت الواو بالهمز، فهو على هذا المعنى بمعنى(الأحد) وإن اختلف اللفظ، **والثاني:** أنه للعد، فالله جل جلاله واحد ليس له ثان ولا ثالث ولا أكثر،

(١) ينظر: د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: (١٠/٦٣٥-٦٣٦).
(٢) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: (١/١٢٧-١٣٠)، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/٩) .

وهو على هذا يحمل معنى(أحد) فمن تفرد بالعدد لزم أن يتفرد بجميع الصفات.

وقال ابن جزي الكلبي: "إلهكم إله واحد: الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: **أحدها:** أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، **والآخر:** أنه لا شريك له، **والثالث:** أنه لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسر المراد به هنا في قوله لا إله إلا هو"[١].

وقد وصف الله جل جلاله بهذين الاسمين الكريمين في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن فيها (الواحد) في ستة منها بالقهار، وذكر(الأحد) في موضع واحد، في سورة الإخلاص، وفي هذا الذكر لهما في مواضع مختلفة في غير ما آية دليل على أن لكل واحد منها معان ودلالات قد لا يحتملها الآخر والمرجع في هذه الدلالات إلى السياق القرآني للآيات، وإنما ذكر الاسمان الكريمان في سورة الإخلاص وفي موضع واحد لدلالات معنوية وعقدية ولفظية بديعة، فبذكرهما في موضع واحد وبترابط معناهما مع السياق القرآني في السورة وتكامل معانيها ومناسبتهما لأسباب نزول السورة، دليل واضح على عناية القرآن الكريم بتفصيل صفات المولى جل جلاله وتقدست أسماؤه أتم تفصيل وأجمل توصيف، فاحتمل الاسمان – الأحد والواحد– جميع صفات التفرد والوحدانية، وسيأتي بيان تكاملهما مع معنى الصمد بعد تفصيل اختلاف العلماء في معنى الصمد وباقي مفردات السورة والقراءات الواردة فيها.

المسألة الثالثة: اختلافهم في معنى (الصمد):

جمع الله تبارك وتعالى في سورة الإخلاص بين النفي والإثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال في قوله: (قل هو الله أحد الله الصمد) ونفى عن نفسه النقصان بقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ففيها إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها ونفي كل صفة لا يجوز وصفه بها؛ لأن الصمد في اللغة: هو السيد الذي يُرجع إليه في الحوائج وهذا يوجب له إثبات صفات الكمال التي يتم بها اتساق الأفعال وقد جاء في اللغة: أن (الصمد) هو الذي لا جوف له[٢].

فعن ابن عباس: " أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أساقفة من بني الحارث بن كعب منهم العاقب والسيد من مذحج فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك أمن زبرجد أم من يا قوت أم من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن ربي ليس من شيء كان بان من الأشياء ولم تكن الأشياء منه" فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ **الذي ليس كمثله شيء، فقال هذا أنت واحد وهذا واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس كمثله**

(١) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، (١٤١٦هـ): (١/ ١٠٤)

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٢/٢٥٨-٢٥٩)، والأسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م): (١٤)

شيء كل أحد يموت إلا هو) قالوا زدنا في الصفة فأنزل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا: "وما الصمد" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج كقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] يريد إليه تستغيثون قالوا زدنا في الصفة فأنزل الله: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ ﴾ كما ولدت مريم ﴿ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ كما ولد عيسى ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ يريد نظيرا من خلقه فأنكروا ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعنهم فأجابوه إلى ذلك وقالوا أخرنا ثلاثا يوم الرابع نلاعنك فقالت اليهود والنصارى لا تلاعنوه فإنه نبي يستجاب له فيكم" أورد نحوه بمعناه مختصرا عن الضحاك وغيره الواحدي في أسباب النزول والبغوي[١].

فالله سبحانه منزه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله تعالى منزَّه عن كل نقص ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن النقص مطلقاً، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ فبين أنه أحدٌ صمدٌ، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال[٢]، والصمدُ: هو الذي لا يأكُلُ ولا يشرب ولا جوف له، وهذه السورةُ هي نسبُ الرحمن، وهي الأصل في هذا الباب، ولهذا كانت الملائكة صمداً لا تأكلُ ولا تشربُ، وقد تقدَّم أنَّ كُلَّ **كمالٍ** فالخالقُ أولى به، وكلَّ نقص فالخالقِ أولى بالتنزيهِ عنه، وقد قال سبحانه في حقِّ المسيح وأمه: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[المائدة: ٧٥] فجعل أكل الطعام دليلاً على نفي **الأُلوهية**، فدلَّ ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأولى والأحرى، فهو سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك، وعن آلاتِه وأسبابِه[٣].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صمدا من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه، فإنه يقبل التفرق والتجزئة، وهو أيضاً محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض، والله

(١) ينظر: الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، (١٤١٨هـ -١٩٩٨م): (٤/١٠٠-١٠٣).

(٢) ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م): (١/ ١٣٥).

(٣) ينظر: القاسمي، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م): (٤/١٦٧).

سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء، ودل قوله (الأحد الصمد) على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل فيه شيء، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧][(١)].

وقد ذكر الماوردي ونقل عن العلماء في معنى الصمد عشرة أقوال كلها متكاملة وتصب في معنى واحد وإن كان ظاهرها يوحي بالاختلاف إلا أن هذا الاختلاف يحمل على كونه من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وهذه الأقوال العشرة هي: **الأول:** أن الصمد: المصمت الذي لا جوف له، قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير، **الثاني:** هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي، **الثالث:** أنه الباقي الذي لا يفنى، قاله قتادة، وقال الحسن: إنه الدائم الذي لم يزل ولا يزال، **الرابع:** هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله محمد بن كعب، **الخامس:** أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، قاله ابن عباس، **السادس:** أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده، قاله أبو وائل وسفيان، **السابع:** أنه الكامل الذي لا عيب فيه، قاله مقاتل، الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب والمستغاث به في المصائب، قاله السدي، **التاسع:** أنه المستغني عن كل أحد قاله أبو هريرة، **العاشر:** أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، قاله الحسين بن فضيل[(٢)].

والمتأمل لهذا الاختلاف في معنى الصمد يظهر له بكل وضوح تكامل هذه المعاني فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين سياق السورة على العموم من جهة أخرى، فمعنى (الصمد) لم يكد يخرج عن معنيين متكاملين – السيد والأحد الذي لا جوف له– إذا ما جمعا معا ووصف بهما على الاستقلال اللفظي، ومنفردين في المعنى فكل واحد مستقل بمعناها مع احتماله لمعنى الآخر، إذ إن صفات المولى جل جلاله لا تحمل إلا على الكمال دون النقص، فحاصل جمع المعنيين وتكاملهما أن الله تبارك وتعالى هو الواحد الأحد الصمد الذي لا جوف له، فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو بهذه الصفات العلية المستحق للسيادة والقهر والغلبة.

وأما إذا أفردت معاني الصمد وفصل الكلام فيها فإن الدلالة في معاني الصمد يمكن من خلالها

(١) ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط٣، (١٤١٩ه): (١٠/ ٣٤٧٤)، والألوسي، محمود شكري بن عبد الله، غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م): (٣٦٧/٢).

(٢) ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: (٦/ ٣٧٢)

تقسيم صفات المولى عز وجل إلى قسمين متكاملين في المعنى ومنفصلين في الدلالة، فتفسير معنى (الصمد): بالسيد، يفهم من صفات الخلق وتدبير شؤون الخلائق والأكوان والحكم والسيادة والعدل والقضاء وما يدخل تحت هذه الصفات من صفات الوحدانية والكمال، وأما حمل تفسير (الصمد): بأنه الذي لا جوف له وما يدخل في معناها، فإن الدلالة فيه تكون للصفات الذاتية بالمولى جل جلاله فهو الذي لا جوف له فلم يلد ولم يولد، فهو لا يرث بذلك ولا يورث وليس له كفوا ولا يكافئه أحد، المتفرد بكل صفات الكمال والجلال، المنزه عن كل نقص وعيب تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه.

فما ذكرته آنفا فيه مجمع ما ذهب إليه أهل التفسير في معنى(الصمد) من حيث اللغة ومن حيث أسباب النزول.

وأما دلالة هذا الاسم العظيم والصفة الجليلة للمولى جل جلاله وتقدست أسماؤه في ضوء اختلاف القراءات القرآنية والعلاقة بين اختلاف المعنى فيه وبين القراءات من جهة وبين معانيه وبين السياق القرآني للسورة من جهة أخرى، **فيمكن إبرازه من خلال الوجوه الآتية:**

الوجه الأول: العلاقة بين معنى (الصمد) وبين معنى (الواحد والأحد) على رأي من قال بأنهما بمعنى واحد، وقد سبقت الإشارة إلى اختلاف المفسرين في معنى(الواحد والأحد) والفرق بينهما بين ثنايا هذا البحث، وخلاصة القول فيه أنهما إما بمعنى واحد عند بعض المفسرين، ومن قال بذلك فقد حمل معنى كل واحد منها على معنى الأخر إما صراحة وإما احتمالا، فقالوا بأن الأحد هو الله الصمد السيد الذي لا جوف له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا من خلقه ليس كمثله شيء، وإليه تلجأ الخلائق وتصمد بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

والوجه الثاني: أنهما بمعنيين مختلفين متكاملين ولكل واحد منها دلالاته اللغوية والعقدية، واحتجوا لذلك أنهما قد ذكر منفصلين في مواضع عديدة فلهما بذلك دلالات مختلفة من جهة ومن جهة أخرى فإن هذين الاسمين(الواحد والأحد) لهما دلالات لغوية وعقدية وتشريعية من خلال تكامل معانيهما مع سياق اللفظين السابقين.

ويمكن تقريب ذلك من خلال عرض بعض التوافق المعنوي بينهما وبين لفظ الصمد من خلال الآتي:

أولا: إن لفظ الأحد أكمل وأشمل من الواحد في هذا الموضع؛ وذلك أن الأحد ليس له ثان ولا ثالث ولا رابع، وهو المتفرد الذي لم يلد ولم ويولد، فيوافقه معنى الصمد الذي هو بمعنى: المصمت الذي لا جوف له، الحي الباقي الدائم الذي لا يفنى.

ثانيا: إن معنى الواحد يوافقه معنى الصمد الذي هو: السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني

الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، فلا تنبغي إلا له[١].

الوجه الثالث: معنى الصمد في ضوء تكامل القراءات ودلالات السياق القرآن للسورة، وعلى هذا الوجه يمكن حمل معنى (الواحد والأحد والصمد) على التكامل والترابط من خلال اختلاف القراءات فيها، فإن من ذهب من المفسرين إلى أنهما بمعنى واحد، فإنه قد فسر المعنى على ما يحتمله سياق السورة وعلى أسباب النزول، فمفهومها يوحي بأنهما بمعنى واحد، فالله هو الأحد وهو الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فبهذا المعنى تكون الآيات اللاحقة من السورة تفسيرا لقوله: (قل هو الله أحد) أو (قل هو الله الواحد) فيكون الجواب ما بعدها.

ويمكن الاستئناس لهذا الرأي بحديث ابن عباس الذي طالب فيه وفد نجران بكمال الإيضاح لمعنى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ونصه " أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أساقفة من بني الحارث بن كعب منهم العاقب والسيد من مذحج فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك أمن زبرجد أم من يا قوت أم من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن ربي ليس من شيء كان بان من الأشياء ولم تكن الأشياء منه" فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الذي ليس كمثله شيء، فقال هذا أنت واحد وهذا واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس كمثله شيء كل أحد يموت إلا هو) قالوا زدنا في الصفة فأنزل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا: "وما الصمد" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج كقوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] يريد إليه تستغيثون قالوا زدنا في الصفة فأنزل الله: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ كما ولدت مريم ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ كما ولد عيسى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ يريد نظيرا من خلقه فأنكروا ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعنهم فأجابوه إلى ذلك وقالوا أخرنا ثلاثا يوم الرابع نلاعنك فقالت اليهود والنصارى لا تلاعنوه فإنه نبي يستجاب له فيكم" [٢].

وأما من حملها على معنيين مختلفين، فقد احتج لذلك بورود أكثر من قراءة في نفس الموضع وأنه سبحانه وتعالى قد أفرد كل واحد منهما في موضع مختلف، فكان لزاما أن يكون لكل واحد منهما دلالات تميزه عن الآخر، فبين الواحد والأحد اختلاف وتوافق، فبذكرهما معا في هذا الموضع عُمل بقواعد اللغة العربية وأن إعمال اللفظ أولى من تركه،

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م): (٢٤/ ٦٩١-٦٩٢، ٧٣٢).

(٢) الهروي ذم الكلام وأهله: (٤/١٠٠-١٠٣).

وكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، ففي ذكرهما معا في موضع واحد إثبات لجميع صفات الكمال في التفرد والوحدانية الملكوت، ونفي كل صفات النقص عن تبارك وتعالى من خلال جمع معانيهما وتكامله.

المسألة الرابعة: اختلاف القراء في (كفوا وكفؤا):

قرأ حفص عن عاصم وابن جماز عن أبي جعفر: (كُفُوا) بإبدال الهمز واوا في الحالين –وقفا ووصلا– وضم الواو، وقرأ أبو جعفر ونافع في رواية بتسهيل الهمز، وروي عن أبي جعفر وحمزة (كفوا) بإبدال الهمز وإسكان الفاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وأبو عمرو في رواية اليزيدي، ونافع وقالون وغيرهم من طرق مختلفة: (كُفُؤا)مهموزا مثقلا، وقرئ: (كُفْؤا) بتخفيف الفاء مع الهمز، وصورتها في كتابتنا القياسية (كُفْئا)، وروي عن ابن عباس: (كِفاء) بكسر الكاف والمد[١]، وقرأ نافع في رواية: (كِفى) بكسر الكاف من غير مد، وروي عنه أنه قرأ: (كُفَى) من غير همز، فقد نقل حركة الهمزة إلى الفاء وحذف الهمزة.

وقرئ: (كِفْئا) بكسر الكاف وسكون الفاء وهمز بعدها، وهي لغة، وقرئ: (كِفْوا) بكسر الكاف وسكون الفاء وإبدال الهمز واوا[٢].

وأما حمزة فإن له في الوقف الوجوه التالية:

١– نقل حركة الهمزة إلى الفاء ثم حذف الهمزة وهذا هو القياس.

٢– إبدال الهمزة واوا مفتوحا مع إسكان الفاء: (كُفْوا) وذلك على اتباع الرسم.

٣– تسهيل الهمزة بين بين، وضعفه بعضهم.

٤– ضم الفاء مع إبدال الهمزة واوا: (كُفُوا) وهذا الوجه كقراءة حفص ومن وافقه.

وقرأ ورش بنقل حركة الهمزة إلى التنوين وحذف الهمزة في الوصل: (كفون احد)، قال النشار(ت: ٩٣٨هـ): " وليس هذا النقل كنقل حمزة المذكور؛ لأن حمزة ينقل في الوقف حركة الهمزة إلى الفاء التي هي ساكنة عنده، وورش إنما ينقل حركة الهمزة من (أحد) إلى التنوين من: (كفوا) إذا وصل: (كفوا بـ (أحد)"[٣].

(١) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

(٢)ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

(٣) النشَّار، عمر بن قاسم بن محمد بن علي، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه/ موجز في ياءات الإضافة بالسور، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م): (٥٥١).

المسألة الخامسة: اختلاف المفسرين في معاني(كفوا أحد) في ضوء اختلاف القراءات:

اختلف المفسرون وموجهو القراءات القرآنية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ اختلاف تنوع في معنى (كفوا) ومجمل اختلافهم يدور حول معان متقاربة في الدلالات مختلفة في الأصول، ويمكن حمل اختلاف التنوع هذا إلى عدة عوامل، فالأول: تناسب معاني الآية مع ما قبلها من السياق القرآني، الثاني: الاشتقاق اللفظي للكلمة واختلاف معانيها بسبب تخفيف الهمز وتحقيقه ومخالفة ذلك لقاعدة العمل بتخفيف الهمز المشروط بعدم اختلاف المعنى والذي لم ينطبق الشرط على ما ههنا انطباقا كليا، والسبب الثالث: المؤثر في اختلافهم في تأويل هذه الآية هو سبب النزول، والرابع: وهو الأكثر أهمية مما سبق هو أن الآية خصوصا والسورة عموما تتحدث عن صفات المولى جل جلاله وتقدست أسماؤه، حيث إن هذه الصفات باتفاق العلماء المشهود لهم بالفضل والعلم وسلامة الاعتقاد تحمل على جهة الكمال في الصفات والأسماء وأن الله تبارك وتعالى مبرأ من كل عيب ونقص، وقد ذهب كثير من العلماء في هذه الآية إلى ذكر المعاني التي تدل على هذا الكمال والجلال، فمنهم من تفرد بذكر لفظ واحد، ثم حمل هذا اللفظ على جميع ما يمكن وصفه به تبارك وتعالى من صفات الكمال والجلال والإكرام، كما نقل عن ابن جريج ومجاهد وغيرهما بأن معنى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: مثل[١]، وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة، وروي عن مجاهد أيضا: مثله، وفسر الكرماني قول مجاهد فقال: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: لا يماثله ولا يساويه أحد، فلا صاحبة له؛ لأن المرأة كفؤ الرجل، والمعنى: لا ولد له ولا والد له ولا صاحبة[٢]، وعن ابن عباس قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار[٣].

في حين أن بعض المفسرين استعمل أكثر من لفظ في تفسير هذه الكلمة – كفوا – كقول ابن عطية: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ معناه: ليس له ضد ولا ند ولا شبيه، والكفأ والكفؤ والكفاء النظير"[٤]، وقال أبو العالية قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: لم يكن له شبيه، ولا عِدْل، وليس كمثله شيء[٥].

وهم بذلك أقرب إلى تفصيل معناها وأكمل؛ فإن زيادة المباني زيادة في المعاني، ويمكن الاحتجاج لمذهب هؤلاء بسبب نزول السورة فإنها نزلت في وفد وجماعة من الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ينظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، غرائب التفسير وعجائب التأويل، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت: (٢/ ١٤٠٨).
(٢) ينظر: الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل: (٢/ ١٤٠٨).
(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣).
(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز: (٥/ ٥٣٧).
(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣).

وسلم عن صفة ربه تبارك وتعالى، فلما أجابهم بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قالوا زدنا –أي زدنا تفصيلا– فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا زدنا فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فلما طلبوا المزيد من التفصيل قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فكمال التفصيل في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته يتجلى ويتضح اتضاحا كاملا من خلال تكامل معاني السورة جميعا، وإن كان كل لفظ منها يحتمل ما في باقي الأسماء والصفات جميعا، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله حيث قال: " قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد"(١).

قال الرازي معلقا على المعنى في سياق الحديث: " فانظر كيف احتج الله تعالى في المقام الأول بالقدرة على الابتداء على القدرة على الإعادة، وفي المقام الثاني احتج بالأحدية على نفي الجسمية والوالدية والمولودية(٢).

فانظر كيف بيّن الله تبارك وتعالى صفاته العلية بنفيه كذب وافتراء ابن آدم عليه بألفاظ متلاحقة متكاملة يكمل بعضها بعضا ويفسر بعضها بعضا – وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد– وهو ذات السياق الذي سار عليه القرآن الكريم في كثير من المواضع، وإن كان هذا السياق جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الأحاديث القدسية.

وحاصل اختلافهم في معناها لا يكاد يخرج عن ثلاثة وجوه: **أحدها:** لم يكن له مثل ولا عديل، قاله أبي بن كعب وعطاء، **الثاني:** يعني لم تكن له صاحبة، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله مجاهد، **الثالث:** أنه لا يكافئه من خلقه أحد، قاله قتادة وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كفوا(٣).

وأما معنى(كفوا) من حيث اللغة فهو يحتمل معنيين رئيسيين، لا يكاد معناها يخرج عنهما بحال، فأحدهما من الكفاءة والآخر من المكافأة بمعنييها، بمعنى الكفاءة كالمعنى الأول، وإما من المكافأة التي هي المجازاة على الشيء بالشيء مثله، **وفيما يلي تفصيل ذلك:**

قال ابن منظور في لسان العرب: " كفأ: كافأه على الشيء مكافأة وكفاء: جازاه، تقول: ما لي به قبل ولا كفاء أي ما لي به طاقة على أن أكافئه"(٤)، وفي الحديث: "..فنظر إليهم فقال: من يكافئ هؤلاء.."(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) رقم(٤٤٨٢) صحيح البخاري: (٦/ ١٩).
(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢/ ٣٢٧).
(٣) ينظر: الماوردي، النكت والعيون: (٦/ ٣٧٢).
(٤) ابن منظور، لسان العرب،: (١/ ١٣٩-١٤٠).
(٥) حديث صحيحٌ، رجاله رجال الصحيح، إلا محمد بن عثمان الثقفي، وقد قال أبو حاتم: إنه ثقة، كما في (تهذيب التهذيب) ووقد خرجه أحمد في مسنده برقم(١٨٩٣٧) باب حديث صهيب بن سنان من النمر بن قاسط، ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد: (٣١/ ٢٦٧)، والوادعي، مقبل بن هادي(١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، الناشر: دار الآثار - صنعاء، ط٤: (١/ ٤٣٣).

والكفيء: النظير، وكذلك الكفء والكفوء، على فعل وفعول، والمصدر الكفاءة، بالفتح والمد، وتقول: لا كفاء له، بالكسر، وهو في الأصل مصدر، أي لا نظير له. والكفء: النظير والمساوي، ومنه الكفاءة في النكاح، وهو أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك، وتكافأ الشيئان: تماثلا، وكافأه مكافأة وكفاء: ماثله، ومن كلامهم: الحمد لله كفاء الواجب أي قدر ما يكون مكافئا له، والاسم: الكفاءة والكفاء[١].

وقال الزجاج:"(كُفُواً) فيها أربعة أوجه، بضم الكاف والفاء، و(كُفْواً) بضم الكاف وسكون الفاء، و(كِفْواً) " بكسر الكاف وسكون الفاء، وقد قرئ بها، و(كِفَاء) بكسر الكاف، والكَفْء – بفتح الكاف وسكون الفاء– اسم، لم يقرأ بها، وفيها وجه آخر لا يجوز في القراءة، ويقال فلان كُفءُ فلان، مثل: كُفِيّ فلان"[٢]، وفيها للقراء وجوه أخرى لم يذكرها الزجاج وإنما ذكر وجه التخفيف وجعله ووجه التحقيق من أصل واحد وجعلهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد، وسيأتي بيان الفرق بينهما.

وفي الحديث: "شاتان مكافأتان"[٣]: مشتبهتان، وقيل: متساويتان، أي متساويتان في السن، أي: لا يعق عنه إلا بمسنة، وأقله أن يكون جذعا، كما يجزئ في الضحايا، وقيل: مكافئتان، أي: مستويتان أو متقاربتان، واختار الخطابي الأول، قال: واللفظة مكافئتان، بكسر الفاء، يقال: كافأه يكافئه فهو مكافئه أي مساويه[٤].

قال ابن منظور: "والمحدثون يقولون مكافأتان، بالفتح، قال: وأرى الفتح أولى لأنه يريد شاتين قد سوي بينهما أي مساوى بينهما. قال: وأما بالكسر فمعناه أنهما مساويتان، فيحتاج أن يذكر أي شيء ساويا، وإنما لو قال متكافئتان كان الكسر أولى"[٥].

ونقل عن الزمخشري بأنه لا فرق بين المكافئتين والمكافأتين، لأن كل واحدة إذا كافأت أختها فقد كوفئت، فهي مكافئة ومكافأة، أو يكون معناه: معادلتان، لما يجب في الزكاة والأضحية من الأسنان، قال: ويحتمل مع الفتح أن يراد مذبوحتان، من كافأ الرجل بين البعيرين إذا نحر هذا ثم هذا معا من غير تفريق؛ كأنه يريد شاتين يذبحهما في وقت واحد، وقيل: تذبح إحداهما مقابلة الأخرى، وكل شيء ساوى شيئا، حتى يكون مثله، فهو مكافئ له، والمكافأة بين الناس

(١) لسان العرب، لابن منظور: (١/ ١٣٩-١٤٠)
(٢) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): (٥/ ٣٧٨)
(٣) حديث حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ينظر: مسند الإمام أحمد: (١١/ ٣٢١)، وابن البيع، المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٢٦٦).
(٤) ينظر: أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م): (٤/ ٣٣٧).
(٥) ابن منظور، لسان العرب: (١/ ١٣٩-١٤٠)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح السيوطي لسنن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، (١٤٠٦ه – ١٩٨٦م): (١٦٣/٤).

من هذا، يقال: كافأت الرجل أي فعلت به مثل ما فعل بي، ومنه الكفء من الرجال للمرأة، تقول: إنه مثلها في حسبها[١]، وروي عن كعب، قال: إن الله –تعالى ذكره– أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه"[٢]، فقوله: لم يكافئه أحد يحتمل وجهين متكاملين، أي: لم يكن له نظير ولا شبيه ولا مثيل، والثاني: أنه ليس أحد من خلقه يستطيع أن يكافأه على خلقه لذلك فيقابله بالإحسان إحسانا وبالجزاء جزاء يوافي صنيعه ونعمه تبارك وتعالى، ومصداق ذلك قوله جل جلاله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

والمتأمل لجميع وجوه القراءة بالأحرف السبعة من خلال تنوع القراءات واختلافها في(كفوا) مخففا ومحققا، يظهر له جوامع هذا الاختلاف من وجوه: **الوجه الأول:** والمراد به اختلاف القراءات في(كفوا) وهو على حالين لا ثالث لهما، إما القراءة: بتحقيق الهمز، وله وجوه في القراءة مختلف فيها، وإما القراءة: بالتخفيف، وله أيضا وجوه للقراءة مختلف فيها، وفي الحالين يمكن حصر أقوال الموجهين فيها على نحوين أيضا لا ثالث لهما: الأول: أن التخفيف والتحقيق بجميع صورهما لغتان مشهورتان ومقروء بهما على وجوه متواترة وأخرى شاذة، بحسب استكمال كل وجه منها لشروط القراءة الصحيحة، والثاني: أنهما بمعنيين مختلفين ومن أصلين مختلفين، وهذا الوجه يحتاج لمزيد إيضاح وكثير بيان، فهما وإن كانا بمعنيين مختلفين، إلا أن جعلهما من أصلين مختلفين قد يتعسر من وجوه، فمنها أن المعنيين متكاملين وكل واحد منهما يحمل معنى الآخر، والثاني: أن جعلهما من أصلين مختلفين قد يشكل علينا من حيث إسناد كل قراءة من القراءة المتواترة الصحيحة إلى أصل من هذه الأصول وهذا متعذر لشدة التكامل والتوافق بينهما.

وعلى هذا فإنه لا يمكن الخروج من هذا الإشكال إلا بجعلهما بمعنيين متكاملين متوافقين يعضد أحدهما الآخر، فهما من أصل واحد، إذ أن أحدهما محقق بالهمز، والثاني مخفف منه، فيكون بينهما على هذا النحو عموم وخصوص في المعنى، فيحمل المهموز على الأصل فيكون معنى(كفؤا) بمعنى المكافئ والنظير والمثيل وكذلك الذي لا يكافئه أحد ولا يساويه ولا يقدر أحد أن يوافي نعمه أو يجازيه عليها، وذلك لاستكماله تبارك وتعالى لصفات الكمال في الخلق والتدبير، **والوجه الثاني:** (كفوا) بالتخفيف لفظا ومعنى، فيحمل معناه على أحد المعنيين دون الآخر، فهو بمعنى المكافئ الذي ليس كمثله شيء، فلا شبيه له ولا نظير، فانحصر معناه على هذا، وهو مذهب كثير من المفسرين، كما

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (١/ ١٣٩-١٤٠)، والسيوطي، شرح السيوطي لسنن النسائي: (١٦٣/٤).
(٢) الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣)

سبق بيانه في مطلع هذا المبحث، وعلى كل حال فإن حمل المهموز على هذا المعنى يقبل أن يدخل فيه المعنى الآخر ولو احتمالا، وذلك لاشتراكهما في الأصل، والله أعلم.

المبحث الثالث: تكامل القراءات المتواترة والشاذة وتكاملها في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية، وفيه ثلاثة مطالب:

وتكمن أهمية هذا التعاضد والتكامل في وجوه القراءة المختلف فيها في هذه السورة من نواح عديدة وجوانب بالغة الأهمية، وكل ذلك مصبه في مسار واحد هو إعجاز القرآن الكريم للجن والإنس في ألفاظه ومعانيه، وسأبرز من خلال التفصيل الآتي التناسق والتكامل لمعاني القراءات القرآنية، من خلال الوجوه الآتية:

المطلب الأول: التكامل اللغوي والمعنوي للقراءات القرآنية في (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد) [١]:

وهو على قسمين: القسم الأول: فعلى قراءة من قرأ من غير(قل وهو) فإن معنى القراءة على هذا الوجه يحمل بلاغيا على جهة الإخبار على صفة الكمال بأن الله تبارك وتعالى هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهي على هذا الوجه أمرٌ بصيغة الإخبار، فوجوب الإيمان بذلك والعمل بمقتضاه شرط من شروط الإيمان والتوحيد لا يكتمل إلا به.

وأما القراءة على وجه من أثبت اللفظين(قل وهو) فهو أمرُ صريح بوجوب الإيمان وإخلاص التوحيد، على صيغة الإنشاء والأمر والطلب، والأمر فيه عام وخاص، فالعام فيه إبلاغ للنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمن بذلك وأن يأمر قومه أن يؤمنوا بذلك ويصدقوه وأن يعملوا بمقتضاه، وأما على الخصوص، ففيه أمرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يرد على كل من سأله عن صفة الله جل جلاله سواء كان السائل يهوديا أو نصرانيا أو من مشركي قومه، ويدخل في ذلك كل من جهل صفات المولى عز وجل، كان مؤمنا أو كان كافرا.

وفي العموم وعلى الوجهين معا – القراءة بحذف اللفظين أو إثباتهما– فإن المعنى لم يزل متكاملا، ومشتملا لجميع المعاني وإن تفردت بعض الوجوه بلاغيا لحكم أخرى[٢].

القسم الثاني: ويراد به التكامل اللفظي والمعنوي في(الله أحد، والله الواحد):

وفيه أن كل واحد من اللفظين له دلالات خاصة ودلالات عامة، وقد سبقت الإشارة إلى الفروق بينهما في الاشتقاق والمعاني في مبحث سابق، وخلاصة التكامل بينهما: أنهما إذا ما تفرد بهما قارئ بقراءة مستقلة فإن كل واحد منهما يحتمل معنى الثاني ولو احتمالا من حيث الخصوص، وأما من حيث العموم

(١) ينظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع،: (١٨٥)، د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: (١٠/٦٣٥-٦٣٦).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٢٤٥- ٢٤٦).

فإنهما يكونان بمعنى واحد، فإن جميع صفات المولى تبارك وتعالى المأخوذة من أحدهما هي نفسها وبذاتها تنطبق على الآخر، ولا ينبغي لأحد أن يصفه تبارك وتعالى بأي صفة من صفات النقص ولو تعريضا، وأما إذا ما اجتمعا في موضع واحد كما في الآية الأولى من سورة الإخلاص فإنه يمكن حمل معاني كل واحد منهما على صفة المبالغة والتأكيد في إثبات باقي الصفات المتعلقة بهذين اللفظين، فالأحد: هو الفرد الصمد الذي لا جوف له، فلا يأكل وليس له والد ولا ولد، ويدخل في هذه المعاني أنه واحد في العد لانتفاء المشابه له والنظير، وأما الواحد، فهو كالأول في المعنى مختلفا قليلا في الدلالة، فهو الواحد الذي لا ثاني له، وهذا يستوجب أن يكون فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وبجمع المعاني يتضح التكامل وتتجلى الدلالات اللفظية والمعنوية لاختلاف القراءات القرآنية هنا.

المطلب الثاني: تكامل معاني القراءات في لفظ(الصمد) [١]:

سبقت الإشارة إلى اختلاف المفسرين في معنى الصمد، وأن اختلافهم في معناه لا يخرج عن معنيين رئيسيين متكاملين ومتوافقين، فهما إما بمعنى: الذي لا جوف له فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو الذي لا يأكل ولا يشرب، فاستوجب بذلك جميع صفات الكمال، والمعنى الثاني: أنه تبارك وتعالى السيد المتفرد بالسؤدد الذي خضع له كل شيء الواحد القهار الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها.

وعلى هذه المعاني فإنه يمكن القول بأن تفسير معنى الصمد بأنه الذي لا جوف له فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، يناسب وجه القراءة على وجه من قرأ: (الله أحد)؛ وذلك لوضوح التوافق اللفظي بين المعنيين، فمعنى الأحد يراد به الذي لا جوف له ولا والد له ولا صاحبة ولا ولد، وهذه الصفات والمعاني هي نفسها معاني الصمد على الوجه الأول.

وأما تفسير معنى الصمد: بالسيد الذي له السؤدد وإليه تصمد حوائج الخلق فيناسبه قراءة من قرأ: (الله الواحد) فإن الواحد في الملك والسيد المتصرف في شؤون الكون المتفرد بتدبير الأمر، لا ينبغي إلا أن يكون إلها واحد، متفردا بالحكم، إذ لو كان هناك إله آخر أو آلهة أخرى لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، لقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وعلى الوجهين فإنه ومع بديع هذا الإشارات ولطائف دلالتها في هذه الآيات إلا أنه لا ينبغي الجزم بهذا المعني على الحصر، وإنما تحمل جميعها على التنوع والتوافق والتكامل، وأن كل لفظ منها يحتمل ما يحتمله الآخر إما ضما وإما صراحة، والله أعلم.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٦٩١/٢٤-٦٩٢، ٧٣٢).

المطلب الثالث: تكامل معاني القراءات في (كفوا)[١]:

ذكرت في مبحث سابق اختلاف المفسرين والقراء في معاني القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وخلاصة ما ذهب إليه المفسرون في معنى (كفوا) لا يكاد يخرج عن معنى من المعاني الثلاثة، فالأول: أنه بمعنى الشبيه والعدل، والثاني: المكافئ له على صنيعه، والثالث: بمعنى: لا ثاني له[٢].

وأما القراء فقد اختلفوا في وجوه قراءتها على وجوه عديدة[٣]، ويمكن حصر معانيها بناء على وجهين رئيسيين، إما على التثقيل بالهمز لفظا، فيحمل معناها على العموم فيكون الكفؤ والكفو بمعنى واحد تدخل فيه الوجوه الثلاثة الذي ذكرها المفسرون، وهي انتفاء المكافأة والمساوة له والمشابهة له جل جلاله، وإما من المجازاة له والمكافأة على صنيعه وإما أنه لا ثاني له.

وإما على التخفيف لفظا ومعنى، فيحمل لفظ (كفوا)مخففا، على انتفاء النظير والشبيه والمثيل له سبحانه وتعالى، وعلى العموم من ذلك فإن صحة القراءة بالوجهين معا في هذا الموضع بجميع أحرف القراءة المختلف فيها يستوجب إعمال الألفاظ؛ لأنه أولى من تركها، فإن حمل معناها على المكافأة والمجازاة والمماثلة وأنه لا ثاني له أولى من ترك أحدها، وأما عند حمل معنى المهموز على المكافأة والمجازاة فقط بحسب مدلوله اللغوي فإنه يُحمل على ذكر الخاص بعد العام، على سبيل المبالغة والتوكيد والعكس كذلك صحيح، فإن حمل (كفوا) على أنه لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له، يدخل فيه ضمنا أنه لا يكافئوه أحد ولا يجازيه على إنعامه أحد، كيف ذلك وبيده ملكوت السموات والأرض وعند خزائنها.

فإذا ما ذهبنا إلى جمع معاني هذين اللفظين في هذا الموضع فإنه كما ذكرت آنفا يزداد معناهما اتضاحا وتكتمل المعاني بتنوع القراءة واختلاف دلالاتها، فإن كل واحد منهما على إفراد كل قراءة أو حرف قرآني يحتمل معنى الآخر إما ضمنا أو احتمالا، والله أعلم.

وخلاصة التَّأمُل في تكامل القراءة في هذه السورة يمكن وصفه من ثلاثة وجوه[٤]:

الأول: تكامل القراءات الواردة في كل آية مثل: تكامل قراءتي(الواحد والأحد) وقراءتي (كفوا وكفؤا).

والثاني: تكامل معاني القراءات مع معاني وغريب الألفاظ في السورة، مثل: تكامل معاني (الواحد والأحد) مع معاني (الصمد) وتكامل معاني (الصمد) مع قراءتي(كفوا وكفؤا).

والثالث: تكامل معاني القراءات في السورة عموما، مثل: تكامل معاني الأحد مع الصمد الذي

(١) ينظر: الماوردي، النكت والعيون: (٦/ ٣٧٢).
(٢) الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٧٣٨-٧٤١).
(٣) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).
(٤) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

لا جوف له فلم يلد ولم يولد، ولا شبيه له ولا نظير، مع ما يوافقها من معاني كفوا، الذي هو لا يكافئه لا يشابهه ولا يساويه أحد.

وكذلك توافق الواحد مع معنى الصمد الذي له السؤدد وكمال الملك وإليه تصمد الخلائق في حاجاتها وتلتجأ إليه، مع ما يوافقها من معاني(كفؤا) الذي بمعنى لا يجازيه على إحسانه ولا إنعامه أحد، فهو الغني بذاته عن غيره والكل محتاج إليه.

الخاتمة

وتشمل: أهم النتائج والتوصيات:

بعد أن منّ الله عليّ وأعانني على إتمام هذا البحث والذي أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني به في الدنيا والآخرة أحببت أن أدوّن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

أولاً النتائج:

١- تنوعت الأساليب البلاغية في سورة الإخلاص باختلاف القراءات القرآنية ما بين الخبر والإنشاء، وقد انعكس ذلك على معاني مفردات السورة ودلالاتها اللفظية والمعنوية.

٢- كان لاختلاف القراء في لفظي(الواحد والأحد) الأثر الكبير في تفصيل معاني القراءات وشمولها لجميع صفات الكمال والجلال للمولى جل جلاله، وكذلك اختلافهم في (كفؤا وكفوا).

٣- تنوع تكامل القراءات القرآنية في سورة الإخلاص على صور عدة، منها:

أولا: تكامل القراءتين في(أحد والواحد) مع معنيي الصمد الذي اختلف المفسرون فيه.

ثانيا: تكامل معاني(الصمد) المختلف فيها مع وجوه القراءات في(كفؤا وكفوا) بالتحقيق والتخفيف بجميع صورها.

ثالثا: تكامل معاني(الواحد والأحد) مع (كفؤا وكفوا).

رابعا: تكاملت معاني القراءات في(الأحد والواحد) مع معاني(الصمد) مع معاني القراءات في(كفؤا وكفوا).

٤- عند إفراد كل قراءة من القراءات القرآنية في السورة فإنه يمكن حمل جميع معانيها على معاني القراءات جميعا إما ضمنا وإما احتمالا.

ثانيا: التوصيات والمقترحات:

توصي الباحثة بإجراء الدراسات والبحوث التالية:

١- دراسة اختلاف أصول القراءات بين التحقيق والهمز في جميع القرآن وتتبع دلالاتها المعنوية واللغوية والحكمية.

٢- دراسة القراءات الواردة في صفات المولى تبارك وتعالى في جميع القرآن الكريم وتتبع دلالاته العقدية.

٣- دراسة الأساليب البلاغية كالخبر والإنشاء وغيرها في القرآن الكريم في ضوء اختلاف القراءات القرآنية.

المراجع والمصادر

ـ**القرآن الكريم.**

ـالإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول، للبيضاوي) (ت – ٧٨٥هـ)، تأليف: علي

بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده: عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

ـإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى(منتهي الأماني والمسرات في علوم القراءات) لأحمد بن محمد البنّا، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

ـالأحرف السبعة للقرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د/ عبد المهيمن الطحّان، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ـأسباب النزول، علي بن أحمد، الواحدي، النيسابوري، الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

ـاشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق، النهاوندي(ت: ٣٣٧هـ) تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ـإعراب القرآن، لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

ـإيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري(ت: نحو ٥٥٠هـ) تحقيق: د/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

ـالتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني(ت: ٤٧١هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

ـالتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، الطبعة التونسية ،١٩٩٧م.

ـالتسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

ـتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي(ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط٣ ١٤١٩هـ.

ـتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ـتقريب التدمرية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ـ الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، الترمذي، السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـالجامع لأحكام القرآن والمُبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

ـحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة: (عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي)، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي(ت: ١٠٦٩هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

ـحجة القراءات، لأبي زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعد الأفغاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ـالدر المصون في علوم الكتاب المكنون أحمد بن يوسف السمين الحلبي، دار القلم، دمشق، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط.

ـذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي(ت: ٤٨١هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

ـروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي(ت: ٦٢٠هـ) الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

ـزاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد، الجوزي، أبو الفرج(ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

ـسنن الترمذي(الجامع الكبير) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى(ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

ـشرح السيوطي لسنن النسائي، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ـشرح مقدمة في أصول التّفسير، لابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)، شرح: د/ مساعد بن سليمان الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢٨هـ.

ـالصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

ـصحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري، الجعفي، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

ـالصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)الناشر: دار الآثار – صنعاء، ط٤، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

ـالعرش، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢ ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

ـالعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ) حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

ـغاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري بن عبد الله، الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ) تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

ـغرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ) الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

ـفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار الفكر، بيروت.

ـالقراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر سالم بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

ـالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر، أبو القاسم، الزمخشري، الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـالكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)، أعده للطبع: د/ عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

ـلباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت: ٧٤١هـ) تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

ـلسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور، الأنصاري(ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

ـلطائف الإشارات (تفسير القشيري) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

ـمجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحراني(ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

ـالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية(ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

ـمختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، للحسين بن أحمد بن خالويه، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة.

ـالمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم، أبو عبد الله، الحاكم، الضبي، النيسابوري، المعروف بابن البيع(ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

ـمسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

ـالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج، النيسابوري(ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـمشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

ـالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت: ٧٧٠هـ): الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

ـمعالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي(ت: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

ـمعاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ـمعجم القراءات، د/ عبد اللطيف الخطيب، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

ـمفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله، التيمي، الرازي،

فخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
ـمقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: عبد الله محمد الدّرويش، الناشر: مكتبة الهداية، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م.
ـالمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشَّار الشافعي المصري (ت: ٩٣٨هـ) تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
ـالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف، أبو زكريا، محيي الدين، النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
ـالنبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ .١٩٩٧م.
ـالنشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن يوسف، أبو الخير، ابن الجزري(ت: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى(تصوير دار الكتاب العلمية).
ـالنكت والعيون (تفسير الماوردي) علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
ـالنهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

Frequent and abnormal readings in Surat Al-Ikhlas and its nodal connotations (Collecting and studying)

Dr. Bushra Hasan Hadi AlYamani

Assistant Teacher Department of Quranic Studies
Faculty of Quran and Islamic Studies
University of Jeddah
Kingdom of Saudi Arabia

***Research*.** this research aims to: Study the quranic recitations of the chapter Al-Ikhlaas – the recitation of which earns the reciter a reward equating to reciting one-third of the whole Quran.

· Explain the extent to which the derived meanings and exegesis of this chapter are affected by the various modes of recitation that are present.

· Show some of the implications arising from the linguistic and interpretational analysis of these various modes of recitation on the monotheistic theology of the names and attributes of Allah, the Exalted.

· Clarify the linguistic and interpretational connection between the letters in the authentic and non-authentically related and differed-over recitations of His statement: 'Say, 'He is Allah Al-Ahad' and 'Say, 'He is Allah Al-Al-Waahid'.

· Clarify the difference between affirming certain phrases in the recitations and omitting others.

· Clarify the varied types of linguistic address found in the various modes of recitation and its impact on derived theological rulings.

· Explain the difference between the meanings of Al-Ahad and Al-Al-Waahid and the implications of that on theology.

· Explain the connection between this difference and the differences existing in the meanings of 'Al-Samad'.

· Explain the connection between the differed-over meanings of Al-Samad and meaning derived from the deferring recitations of the phrase 'Kufu-an Ahad' (by emphasizing the Hamza) and 'Kufu-wan had' (by omitting the Hamza).

· Study the integrated connection between the phrases in the various modes of recitation and their consequential meaning, and the general context of the chapter in relation to the reasons for its revelation, its virtues and status in the general sense.

Key Words: Quranic modes of recitations, the chapter of Purity, indicated meanings, theological indications.